الفصل الأول

المهدي أو قائم الحق عبر العصور

اعتقد المسلمون منذ فجر الاسلام وإلى اليوم بصحة ما بشّر به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من ظهور رجل في آخر الزمان يسمى المهدي أو قائم الحق عند الموحدين يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً ؟! وجوراً ولم يشّذ عنهم إلا القليل من دعاة التجديد والتحضر نتيجة لتأثرهم بالدراسات غير الموضوعية والاستشراق الغربي ودسائسه.

إن فكرة ظهور المنقذ العظيم الذي سينشر العدل والرخاء بظهوره في آخر الزمان ويقضي على الظلم والاضطهاد في أرجاء العالم، ويحقق العدل والمساواة في أرجاء المعمورة فكرة آمن بها أهل الأديان الثلاثة واعتنقها معظم الشعوب.

فقد أمن اليهود بها كما آمن المسيحيون بعودة المسيح، وصّدق بها الزرادشتيون بانتظار عودة بهرام شاه، واعتنقها مسيحيو الأحباش بترجمتهم عودة ملكهم يتود كالمهدي في آخر الزمان، وكذلك الهنود اعتقدو المتقدون بعودة فيشنو، ومثلهم المجوس إزاء ما يعتقدونه من حياة أو شيدر، وهكذا نجد البوذيين ينتظرون ظهور

بوذا كما ينتظر الإسبان ملكهم روذ ريق، وقد وجدوا هذا المعتقد عند قدامى المصريين كما وجدوا في القديم كتب من الصين[20] تتضمن نفس المعنى.

وإلى جانب هذا نجد التصريح من عباقرة الغرب وفلاسفته بأن العالم في انتظار المصلح العظيم الذي سيأخذ بزمام الأمور ويوحّد الجميع تحت راية واحدة وشعار واحد[21]

أما عند المسلمين فهم على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم وفرقهم يعتقدون بظهور المهدي في أخر الزمان طبقاً لما بشّر به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ولا يختص هذا الاعتقاد بمذهب دون آخر ولا فرقة دون أخرى ولهذا قال ابن خلدون معبراً عن عقيدة المسلمين بظهور المهدي بقوله: اعلم إن المشهور بين الكافة من أهل الاسلام على ممر الأعصار: إنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي على المماليك الإسلامية، ويسمى المهدي.

([20]) راجع ص43 وص44 من كتاب المهدية في الإسلام لمؤلفه سعد محمد حسن وراجع ص 70 من كتاب الإمامة وقائم القيامة للدكتور مصطفى غالب.

([21]) راجع ص124وص125 من كتاب برنارد شو لمؤلفه عباس محمود العقاد.

ولا بد من القول إنه في الأيام الفضيلة التي تسبق عيد الأضحى المبارك يسود جو من حساب النفس، ومراجعة الضمير عند عدد كبير من الناس ويثوب بعضهم إلى رشدهم ويتوب البعض الآخر ويفكر الكثيرون في ما هي غاية الحياة؟ وماذا يأخذ الإنسان معه؟ وما هو الأثر الذي يبقيه؟ وكيف يجب أن يترك الإنسان ذكراً طيباً بعد وفاته؟ وماذا يجب أن يعمل كي يحالفه الحظ، ويفوز بمكان جيد بعد يوم القيامة.

وموضوع القيامة ونهاية العالم وقائم الحق هو موضوع عالجته كل الأديان وتطرقت ومهدت له، وحثت كل الأديان مؤمنينها أن يعملوا لآخرتهم وأن يقوموا بواجباتهم في هذه الحياة حسب الأصول والمبادئ المتبعة ربما يفوزون بالعالم الآخر.

ومذهب التوحيد يدعو هو الآخر إلى تكريس الحياة الدنيا من أجل الحياة العليا، بكل طاقات الإنسان كي يرضي الله سبحانه وتعالى ويرضي ورسله ويهذّب أخلاقه وسلوكه كي يضمن له مكاناً فيما بعد"[22]

(22) راجع مجلة العمامة الشهر الأول عام 2014.

اليوم الآخر في مذهب التوحيد الشريف ليس يوم القيامة! إذ ليس فيه موت للأرواح، ولا قيامة لها ولا بعث، فالأرواح لا تموت لتبعث، ولا تنام لتوقظ بل أن يوم الحساب نهاية مراحل الأرواح وارتقائها إذ يبلغ التوحيد غايته من الرقي والانتصار على كافة العقائد التي تشرك بالله سبحانه وتعالى وتكفر به، وفي هذا اليوم الموعود يظهر المعبود، ويتجلى للموحدين المؤمنين الصادقين للعيان.

وعلامات قرب هذا اليوم عند الموحدين هي: عندما يتسلط أهل الكتاب على المسلمين، ويرضخ الناس إلى الآثام والفساد والآراء المنحرفة، وسيطرة اليهود على بيت المقدس، وخاصة إنّنا قد أصبحنا في دهر عنود (جائر) وزمن كنود (كافر) يُعَدُّ فيه المحسن مسيئاً، ويزداد الظالم فيه عُنُواً ولا ننتفع بما عَلِمنا، ولا نسألُ عما جهلنا، ولا نتخوف قارعة حتى تحلَّ بنا الخطب، وما نحن اليوم إلا كإبل ضّل رعاتها، فكلما جُمعت من جانب انتشرت من آخر.

وأعلم أخي القارئ أن الدنيا أدبرت، وأذَنَتْ بوداعٍ وإن الآخرة قد أحتلت وأشرقت بالظلام ألا وإن اليوم المضمار وغداً السَّباق.

وقد ذكر العلامة الشيخ أبو زين الدين حسن العقيلي قائم الزمان، أو المهدي المنتظر في قصيدة طويلة نذكر منها قوله:

أيا سيدي قد جئتُ نحوك طالباً ... لعفوك بالكآبة والشَجَا

ومن حملي الأوزار قد كَلَّ كاهلي ... وظهري منها كادَ أن يتعوجا

فيا مالكي كن شافعي وامحُ حوبتي؟ ... واجعل لي التوحيد والحق مدرجاً

وهبني الرضا والصّفح منك وأعطني ... هُدى وقِني من نار سخط تأججا

وأحسن ختامي وأسكنني بجنةٍ ... بدارٍ نعيم مَنْ يقرأها نجا

عليك صلاةُ الله ما لاحَ بارقٌ ... وما بزغت شمسٌ وما حندسٌ سَحَبَا

وإخوتك الأشرافُ ما وابلٌ هَما ... وما صافحت أيدي النسيم بنفسجا[23]

([23]) راجع الصفحة 124 و125 من كتاب خبايا الجواهر.